الفصل الأول
العرب وطبيعة اللغة العربية

نشأتهم وتفرعهم:

هم تلك الجماعة التى بقيت فى شبه الجزيرة وعاشت فيها أزمانا متطاولة، وهم من سلالة سام بن نوح، وقد امتد اسم العرب فى العصر الحاضر ليشمل كل من اعتنق الإسلام من المحيط الأطلسى إلى الخليج العربى لاشتراك سكان هذه المنطقة فى العقيدة، والثقافة والعادات والتقاليد، والأهداف المشتركة فضلا عن التشابه الجسمى والعقلى.

والمعروف أن قبائل العرب منها القديم ومنها الحديث. ففى القديم بادت قبائل عربية، وممالك تنسب إليها كقوم عاد وثمود الذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم، وكانت عاد تسكن منطقة الأحقاف جنوبى الجزيرة، وثمود كانت تسكن بالحجر شمالى الجزيرة بين الحجاز والشام، ويذكر القرآن الكريم أنهم أهلكوا حين كفروا بأنعم الله وصدوا عن سبيله.

وهناك غيرهم من القبائل التى بادت كالعمالقة الذين ذكرتهم التوراة، وكانوا مبعثرين فى جهات شتى من الجزيرة، وطسم وجديس، هاتان القبيلتان اللتان لم يستتب الأمن بينهما حتى أفنت كل منهما الأخرى، وكان ذلك فى أوائل القرن الرابع الميلادى كما يذكر المؤرخون.

وكانت هذه القبائل البائدة تتكلم العربية التى بقيت ممثلة للأمم السامية التى هاجر أبناؤها وهجروا موطنها الأصلى، ولم يصلنا عن هذه اللغة القديمة سوى بعض النقوش.

وقد بقيت من تلك القبائل بقايا عاشت فى الجزيرة، وقد أخذت الحياة تدب فى أوصالها جنوبى الجزيرة ثم شماليها، ففى الجنوب ظهرت جماعات عربية أطلق عليها أسم القحطانيين أو اليمنيين أو كما يسمونهم العرب العاربة، وفى الشمال ظهرت جماعات عربية من بعض القبائل الجنوبية التى هاجرت إلى الشمال كجرهم ومن نسل إسماعيل – عليه السلام – وهم المسمون بالعدنانيين أو العرب المستعربة.

ونتحدث عن العرب الجنوبيين أو اليمنيين، وعن العرب الشماليين ولهجاتهم.

أولا: عرب الجنوب (العرب العاربة أو اليمنية):

لاشك أن جنوبى الجزيرة العربية (اليمن) كان خصبا فى سالف العصر والأوان، تنمو فى سهوله الأشجار والنباتات، ولذلك سماها مؤرخو اليونان (بلاد العرب السعيدة)، فقامت فيها الحضارات والحياة لدول متعاقبة.

وقد شملت اليمن قديما الدول المعينية والقتبانية، والحضرمية والسبئية والحميرية، وكلها كانت ذات نشاط تجارى واسع.

المملكة المعينية: من الممالك القديمة فى شمال اليمن – فى منطقة الجوف الخصبة بين نجران وحضرموت.

ولم يكن يعرف – على وجه التحديد – تقدمها على مملكة سبأ أو معاصرتها لها، لكن الحفائر الحديثة وتطبيق العملية الراديو كربونية Radiocarbon Process تشير إلى تعاصرهما، وقيل: إنها كانت موجودة بين سنة ١٣٠٠ق.م، ٦٣٠ق.م، ويذكر بعضهم تاريخ قيامها حوالى سنة ٤٠٠ق. م.

وكانت لهم تجارة بين الهند وبلاد العرب، وقوافلهم التجارية تتجه من سواحل المحيط الهندى إلى فلسطين، وأقاموا لهم مستعمرات هامة تسكنها جاليات منهم على طول الطريق الساحلى المحاذى للبحر الأحمر فى اتجاه فلسطين والبحر المتوسط.

وقرب نهاية القرن الأول ق. م ذابت فى مملكة سبأ التى كانت تمد نفوذها[1].

قتبان: تنسب إلى قبائل قتبان التى أنشأت مملكة فى مناطق سكناهم فى وادى بيحان وحريب وهى المناطق الساحلية الواقعة شمال عدن.

ويختلف المؤرخون فى تاريخ قيامها، ويذكر أنها وجدت سنة ١٠٠٠ق. م وانتهت حياتها ما بين سنتى ٢٤٠، ٢٠٠ ق. م. .

---

(١) الحضارات السامية القديمة ص١٩٢ وفقه اللغة: د. وافى ص٧١، ٧٢.

ويرجح موسكاتى أن حياتها بين سنة ٤٠٠ ق. م و ٥٠ ق. م، وأنها ذابت أيضا فى مملكة سبأ نتيجة الحروب والمنازعات المستمرة.

حضرموت: أنشأتها القبائل التى كانت تعيش فى المنطقة الجنوبية المسماة بهذا الاسم، وكانت لها حضارة هامة.

وقد عمرت مدة أطول من المملكة القتبانية.

ويختلف المؤرخون فى تاريخ ظهورها، فيجعلها بعضهم معاصرة للقتبانيين، وبعضهم للمعينيين، وقيل: إنها ظهرت فى النصف الثانى من القرن الخامس ق. م، وانتهت فى القرن الثانى الميلادى، وقيل غير ذلك، وكانت نهايتها على يد السبئيين أيضا.

سبأ: هى الدولة الكبرى التى وسعت من سلطانها حتى نسبت إليها اللهجات اليمنية فعرفت باسم (اللهجات السبئية) لبروز قوتها وتغلبها على غيرها من الممالك المعاصرة أو السابقة لها كالمعينية والحميرية.

وتشير بعض النقوش المسمارية التى يرجع تاريخها إلى القرن الثامن ق. م إلى أن زعماء سبأ وملوكها – من السبئيين الذين كانوا يستوطنون شمال الجزيرة العربية – قدموا الجزية والهدايا لملوك أشور، وهذا يدل على ازدهار الدولة السبئية قبل هذا الزمن المتقدم.

ويقال إنها كانت موجودة فى زمن سليمان بن داود الذى كانت له دولة معروفة ويقال: إنه توفى سنة ٩٧٥ ق. م، وهذا يثبت وجودها خلال القرن العاشر.

وكان حكام سبأ – فى عصر متقدم – يلبسون ثوب الحكومة الدينية فيتخذون لقب (المكرب) – ومعناه الكاهن الأكبر – وقرب نهاية عصر المكاربة استقرت عاصمة الدولة فى (مأرب) حيث كان يبنى سد عظيم للتحكم فى وادى أذنه وتحويل مياهه للرى.

وحوالى القرن الخامس ق. م تحولت سبأ إلى دولة يحكمها عدد صغير من الأسر العسكرية، والأسر المالكة للأرض، وفى ظلال هؤلاء الملوك أخذ السبئيون يوسعون نفوذهم شيئا فشيئا.

وتعرضت هذه الدولة لمناوأة الأحباش الذين احتلوا اليمن وكانت مناوأتهم لها وهجومهم عليها خلال القرن الرابع ثم استعادت حريتها بعد ذلك.

ولما دخلت اليهودية والمسيحية اليمن تنازع السلطان عليها بيزنطة والفرس والأثيوبيون المحتلون.

وقالوا إن دولة سبأ استمرت حتى سنة ١١٥ ق. م حينما انهار سد مأرب بسيل العرم بعد أن كفروا بأنعم الله كما ذكر القرآن الكريم.

وبعد انهيار سد مأرب هاجرت قبائل منها إلى الشمال.

حمير: نشأت أيام الدولة السبئية، ويقال: إنها تفرعت عنها، وكانت عاصمتها (ظفار) وكان بينها وبين سبأ منازعات، ويحتمل أنها بدأت حوالى سنة ١١٥ ق. م وانتهت سنة ٣٧٥م، وعلى هذا تكون قد عاشت نحو ٤٩٠ عاما، وكانت نهايتها على يد الأحباش الذين سيطروا على اليمن فى هذا التاريخ.

وقد تمكن العدنانيون (عرب الشمال) بعد أن قوى سلطانهم من التغلب على إخوانهم اليمنيين حوالى القرن السادس الميلادى.

اللهجات اليمنية

ولا ريب أن الخلاف والشجار بين تلك الدول العربية المتوالية كان يتبعه صراع لغوى بين لهجاتها، وكانت لهجة سبأ هى صاحبة الغلب فى هذا المضمار حيث صرعت كثيرا من اللهجات المناوئة لها، وحلت محلها اللهم إلا الحميرية التى استطاعت منازعتها زمنا طويلا.

ويلاحظ أن عربية الشمال قد تغلبت على عربية الجنوب بعد تلاقى القبيلين وتقاربهم فى شتى أحوالهم الاجتماعية والدينية والأدبية قبل الإسلام بقرن ونصف أو قرنين تقريبا.

وقد وصلتنا لهجات تلك الدول عن طريق النقوش التى عثر عليها فى بلاد اليمن وفى الواحات شمال الحجاز (فى منطقة العلا) وفى المناطق الشمالية لبلاد كنعان، وفى صعيد مصر – مما تركه تجار اليمن – وفى الحبشة، وهذه النقوش

كتبت على الصخور والأعمدة والقبور والتماثيل والنقود وجدران الهياكل والمذابح.

وقد اكتشفت فى القرن التاسع عشر الميلادى وهى تعود إلى أكثر من عشرة قرون فمنها ما دون فى القرن الثامن ق. م والخامس ق. م وأحدثها دون فى القرن السادس الميلادى، وهى تدل على أن اللغة اليمنية نشأت فى عصور متقدمة.

وهذه النقوش مكتوبة بخط المسند[1] – وهو خط أبجدى يشتمل على تسعة وعشرين حرفا صامتا والنقوش مدونة بالصوامت دون الحركات، وقد أمكن فك رموز الخط المسند الذى كتبت به وعن طريق الفهم للنقوش ومحتواها أمكن الوقوف على أهم خصائصها اللغوية، ومع ذلك فما تزال عبارات كثيرة فى هذه النقوش لم يتضح معناها أو المراد منها بعد.

وأكثر النقوش يمثل اللهجة السبئية ولذلك فهى أوضح من غيرها ولها سمات بارزة كاستخدام الهاء مكان الهمزة فى التعدية فتستعمل وزن (هفعل) مكان (أفعل) فى العربية الشمالية مثل هراق الماء مكان (أراق) وفى المعينية والحضرمية والقتبانية يستعمل وزن (سفعل) مقابل (هفعل) السبئية.

وتسمى هذه اللهجات – جميعها – لدى الباحثين – اليمينة القديمة أو العربية الجنوبية القديمة أو القحطانية أو الحميرية أو السبئية ويعد أصحابها من العرب البائدة.

وقد تبين من خلال دراسة النقوش أن العربية اليمنية تتفق فى سمات كثيرة مع اللهجات الحبشية، وتوجد أوجه خلاف كبيرة بينها وبين العربية الشمالية، ويمكن إدراك ذلك من عرض بعض النقوش مثل النقش السبئى الآتى الذى نقتبس منه بعض السطور.

السطر الخامس:

. . ن بمقم مراهيمو عشتر شرقاة واسمسهو والال تهمو وباخيل ومقيمت خميس.

---

(١) سمى بالمسند لأن أكثر حروفه تستند إلى ما يشبه الأعمدة وهو خط هندسى الشكل ويعرف بالخط اليمنى عند العرب ويكتب – فى الغالب – مستعرضا من اليمين إلى الشمال وأحيانا يكتب بالطريقة الثعبانية.

معناه بالعربية الشمالية:

بمجد سيدتهم عشتروت المشرقة وآلهتهم الشموس وسائر الآلهة وبحول وقوة الخميس (الجيش).

السطر السادس:

حن يورخن ذقيصن دبخرف ذلششت وتسعى وثلث ما تم بن خرف مبحض بن أبحض.

معناه بالعربية الشمالية:

فى شهر ذى قيصن من سنة ثلاثمائة وست وتسعين بعد سنة مبحوض بن أبحض [1].

لكننا لا نوافق الدكتور وافى الذى مال إلى رأى القائلين باختلاف هذه اللهجات الجنوبية اليمنية عن اللغة الشمالية ولهجاتها اختلافا تاما فقد قال: «إن القول بأن اللغة اليمنية واللغة العربية يمثلان لهجتين للغة واحدة غير صحيح فيما يتعلق باللغات اليمنية القديمة التى هى موضوع هذا الفصل، فقد تبين مما سبق أنها ليست من العربية فى شىء وإن كانت تؤلف معها شعبة لغوية واحدة» [2].

ثانيا - عرب الشمال (المستعربة) أو (العدنانية) [3]:

لا شك أن الساميين الذين كانوا يعيشون فى مناطق الجزيرة العربية بقيت منهم قبائل استقرت - منذ القديم - فى وسط الجزيرة وشرقها وغربها وشمالها (نجد والحجاز وتهامة) ومع تتابع الهجرات السامية التى دعت إليها عوامل كثيرة جعلتهم يخرجون من الجزيرة إلى ما حولها بقيت هذه الطوائف السامية فى موطنهم الأصلى، وقد انتقلت عناصر إليهم من جنوبى الجزيرة وأصهر إسماعيل ابن إبراهيم - عليهما السلام - إليهم وتناسلوا وكثروا وكونوا عرب الشمال على مر التاريخ الطويل، فهؤلاء يمثلون الساميين الأوائل، وقد حملوا سماتهم

---

(١) تاريخ اللغات السامية ص٢٤٨-٢٥٠ وانظر: فقه اللغة. د. وافى والتعليق ص ٦٩، ٧٠

(٢) فقه اللغة ص٨١، ٨٢ وانظر ص١٥٧ وما بعدها من هذا الكتاب.

(٣) انظر: شيئا من تاريخهم وموطنهم ص ٧٤، ٧٥ من هذا الكتاب.

وخصائصهم، وبقى لسانهم يحمل لغة الشمال التى أطلق عليها – فيما بعد – (اللغة العربية).

وكانت تأخذ مظهرين تبعا لاختلاف المناطق فبعضهم كان يقطن شمال الحجاز بالقرب من الحدود الآرامية فى سوريا وفلسطين وما جاورهما وقد هلكوا وقضى على حضارتهم وانقرضت لغتهم من التخاطب.

وفريق آخر استقر داخل الحجاز ونجد وما حولهما، وامتد وجودهم جيلا بعد جيل وبقيت لهجاتهم.

ونجم عن ذلك انقسام عرب الشمال فريقين:

العرب البائدة والعرب الباقية:

(أ) العرب البائدة ولهجاتهم:

هم تلك القبائل الذين بادوا وطمست آثارهم قبل الإسلام مثل قبائل لحيان وثمود والصفويين، وكانوا يسكنون بعد استقرارهم شمال الحجاز بالقرب من الحدود الآرامية، ولا سيما فى واحات تيماء والحجر (مدائن صالح) ومنطقة العلا[1].

وقد وصلتنا لهجاتهم عن طريق بعض النقوش المكتشفة فى المناطق السابقة فى مساحة ممتدة من دمشق إلى منطقة العلا لاسيما فى واحتى الحجر وتيماء.

وقد خضعت العربية عند هؤلاء للتأثر باللهجات الآرامية فى الأصوات والمفردات والدلالة، وفقدت بعض خصائصها لبعدها عن مناطق العربية فى (نجد والحجاز).

ومع ذلك تبدو فى النقوش وجوه من الصلات جد كبيرة بينها وبين نصوص العربية الباقية فى الأصوات والمفردات والقواعد والتراكيب فهى تشتمل على معظم الأصوات – لاسيما الدقيق منها – كالذال والثاء والغين والضاد وتتجلى الظاهرة الكبرى فى الاتفاق بينهما فى أصول الكلمات، ويبدو – فى

---

(١) اقرأ شيئا من تاريخهم وموطنهم ص ٧٥، ٧٦، ٨١ من هذا الكتاب.

عربية النقوش – الإعراب بالحركات بصورة واضحة، وكذلك تشتركان فى القواعد كعلامات التثنية والإضافة واسم التفضيل إلخ.

والواقع أن النقوش التى وصلتنا قسمان:

١– قسم شديد التأثر بالآرامية، وهو الذى دون بخط مشتق من المسند.

وهو ثلاث مجموعات: النقوش اللحيانية والثمودية والصفوية.

فاللحيانية: منسوبة إلى قبائل لحيان [١]، ويختلف الباحثون فى تاريخ كتابتها واستنتجوا أنها دونت فيما بين القرن الأول ق. م والسادس بعد الميلاد أو ما بين سنة ٤٠٠ ق. م إلى ٢٠٠ ق. م.

وتتضمن هذه النقوش أسماء بعض ملوك لحيان وألقابهم وكتبت بخط مشتق من المسند يختلف بعض الاختلاف فى المظهر والنظام عن الخطين الثمودى والصفوى وهو يكتب مستعرضا كالمسند تماما.

والثمودية: منسوبة إلى قبائل ثمود، وقيل إن تدوينها وقع فى القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد وعددها يزيد عن سبعمائة وألف نقش، وكتبت بالخط الثمودى وهو مشتق من المسند يتجه من أعلى إلى أسفل وليس ثابتا على حال واحدة.

والصفوية: منسوبة إلى منطقة الصفا إذ عثر عليها فى حرة بين تلال الصفا وجبل الدروز وتاريخها يرجع إلى ثلاثة قرون الأول والثانى والثالث بعد الميلاد ويربو عدد هذه النقوش على ألفين، وهى مكتوبة بخط يعتريه تغير واختلاف فأحيانا يكتب ويقرأ من اليمين إلى الشمال وأحيانا بالعكس وهو قريب من الخط الثمودى إلى حد أن بعض العلماء يسمى ما يستعمل فى الثمودية والصفوية (الخط الثمودى والصفوى) وأحيانا يفرقون بينهما فيقولون: الخط الثمودى – الخط الصفوى.

وقد حاول المستشرق الألمانى أنوليتمان Enno Litmann – فى بحوث له –

---

(١) يجعل بعضهم اللحيانيين شعبا مستقلا، وبعضهم يجعلهم من القبائل الثمودية أو قبائل أخرى اختلطت بثمود وصارت معها شعباً واحدا.

حل رموز هذه النقوش فجمع نحو ألفا وأربعمائة نقش ودرسها وكشف حروفها[1].

ونسوق – هنا – بعض هذه النقوش التى تمثل هذا النوع:

أولا: نقش عن قبر صنعه كعب بن حارث يرجع تاريخه إلى سنة ٣٦٨م ونصه:

ذ ن ل ق ض ب ن ت م ن ت

وبإضافة أصوات المد إلى الصوامت يصبح: ذين لقيض بنت عبد مناة.

ومعناه بالعربية الباقية: هذا القبر لقيض بنت عبد مناة.

ثانيا: نقش يبين اسم من قام بنحت صورة وعل كانت بجوار الكتابة.

ل ت م ى غ ث ب ن ج ش م هـ و ع ل

وبإضافة أصوات المد ووصل الصوامت يصبح:

لتيم يغوث بن جشم هوعل.

ومعناه بالعربية الباقية: الوعل لتيم يغوث بن جشم.

والهاء فى (هوعل) علامة التعريف فى العربية البائدة.

٢- القسم الثانى: قسم أدنى إلى العربية الباقية، وهو الذى قل فيه التأثر بالآرامية، وظهرت فيه سمات العربية الباقية فى الأصوات والألفاظ والقواعد مع أن محل النقوش المكتشفة واحد تقريبا ودون هذا النوع من النقوش بالخط النبطى المتصل الحروف.

ونعرض من هذا النوع ثلاثة نقوش: نقش النمارة Nenmar ونقش زبد Zabad ونقش حوران.

أولا: نقش النمارة: نسب إلى منطقة النمارة، وهى قصر صغير للروم بالقرب من دمشق جنوب منطقة الصفا دون سنة ٢٢٨ ب. م.

ويشير إلى قبر امرىء القيس بن عمرو أحد ملوك الحيرة وهو مدون بخط نبطى يرتبط بعضه ببعض ويشبه الخط الكوفى.

---

(١) انظر: Zur Ent Zifferung der Safn Inschriften

وانظر: فقه اللغة: د. وافى ٩٤ – ٩٧ ودراسات فى فقه اللغة د. الصالح ٤٥ – ٤٧.

وأول سطور هذا النقش ما يلى :

تى نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التج .

ومعناه بالعربية الباقية :

(نفس) : قبر .

(ذو) : بمعنى الذى .

(أسر) : بمعنى حاز أو استولى أو لبس .

(التج) : التاج .

فهو يريد هذا قبر امرىء القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذى حاز التاج وكلمة (بر) هى الصورة الآرامية لكلمة (ابن) المعروفة فى اللغات السامية الأخرى .

ثانيا : نقش زبد : نسب إلى الأطلال المسماة بهذا الاسم وتقع فى الجنوب الشرقى من حلب، ويرجع تاريخه إلى سنة ٥١٢ أو ٥١٣ ب . م وهو مكتوب بثلاث لغات هى : العربية البائدة والسريانية واليونانية ونصه :

١- (بس) م الإله سرجو برأمت منفو وهنىء بر مر القيس .

٢- وسرجو بر سعدو وسترو و (شر) بتميمى .

معنى السطر الأول : (بس) أصلها (بسم) والميم مكسورة من النقش، فهو يقول : باسم الإله، وباقى النقش أسماء أعلام والواو - فى هذه الأعلام - تدل على التنوين كما يرى ذلك ليتمان إذ يقول :

« حرف الواو فى أسماء الأعلام (مثل سرجو، سعدو، سترو الخ) وضع لينوب عن التنوين فى حالة الرفع [١] .

ثالثا : نقش حوران : كشف بحوران اللجا جنوب دمشق فى الجزء الشمالى من جبل الدروز .

وهو منقوش على حجر فوق باب كنيسة يبين مؤسسها وتاريخ إنشائها .

---

(١) تاريخ اللغات السامية ص ١٩٠ - ٢٧٨ .

نص النقش:

(١) أنا شرحبيل بن ظلمو بنيت ذا المرطول.

(٢) سنت ٤٧٣ بعد مفسد.

(٣) خيبر. (٤) بعم.

معنى النقش:

(١) المرطول: الكنيسة. (٢) مفسد: انهيار.

فيقول: أنا شرحبيل بن ظالم بنيت هذه الكنيسة سنة ٤٧٣ بعد انهيار خيبر بعام (بغارة أحد أمراء بنى غسان على هذا البلد).

(ب) العرب الباقية:

هم سكان المناطق الحجازية الغربية والمناطق الشرقية ووسط الجزيرة والذين امتدت حياتهم إلى الآن واتسعت المناطق التى يعيشون فيها لتشمل الوطن العربى من المحيط إلى الخليج.

وقد ظهرت فى المناطق العربية الأصلية (نجد والحجاز وتهامة) لغة مثالية مصطفاة موحدة نزل بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وجاء بها الشعر الجاهلى والإسلامى وما تلاه.

وكانت توجد لدى أصحابها مستويات فى التخاطب تختلف حسب طبيعة المكان الذى يقطنونه، وظلت مستخدمة فى التخاطب على ألسنة العرب الذين لم يشملهم الفناء ولا تزال مستعملة فينا حتى اليوم فى التخاطب والأدب والتأليف، ولذلك يطلق عليها مصطلح « العربية الباقية »، وهى تنقسم شعبتين:

الأولى: حجازية غربية: وهى لهجات البيئات الحضرية فى مكة والمدينة وما إليها، وتتمثل فى القرشية.

والثانية: نجدية شرقية: وهى لهجات البيئات البدوية فى وسط الجزيرة وشرقيها وتتمثل فى التميمية.

هاتان البيئتان كانت لهما آثارهما البارزة فى الظواهر اللغوية الخاصة بكل منهما إلى جانب المستوى اللغوى العام الرفيع فالحجازيون – مثلا – يفتحون

حرف المضارعة فى مثل (تعلم) والتميميون يكسرونه، والحجازى يقول فى صياغة اسم المفعول من الفعل الثلاثى الأجوف اليائى : (مدين) على حين يقول التميمى (مديون) فالأول يعل والثانى يصحح، والحجازى يقول (جمعة) بضم الميم والتميمى يسكنها إلى غير ذلك من الفروق الكبرى بين اللهجتين حسب طبيعة المنطقتين ومع أن لهجة المنطقة الغربية (القرشية) أعلى وأغزر وأغنى مادة وتعبيرا فإن للقبائل الأخرى قياسها المقبول والراجح فى الاتجاه اللغوى .

وهناك معالم أخرى لبيئات أقل شأنا كتلك اللهجات الرديئة أو المذمومة مثل كشكشة ربيعة وعجعجة قضاعة وعنعنة تميم إلى غير ذلك . وكل هذا يدخل تحت « العربية الباقية » التى ينبغى دراستها ومعرفة أسس تناولها من ناحية الأصوات والمفردات والقواعد على مستويات لهجاتها المتعددة .

وقد درس العلماء (العربية) وأدخلوا فى دراستهم لها عناصر متنوعة من بيئات شتى جمعت بين الحاضرة والبادية، وحاول العلماء صهر الخصائص اللغوية للمناطق المختلفة وإدخالها تحت اللغة العربية إن طوعا وإن كرها، ولذلك وضعت القواعد على أساس إدخال اللهجات فى القاعدة العامة أو استثنائها طالما كانت الشواهد عربية أصيلة واردة عن الفصحاء ولو عن شاعر واحد، ولم يفرقوا بين دراسة اللغة العامة واللغة الخاصة، لكن الواقع أن فروقا متباينة كانت بين المناطق والمتحدثين باللهجات وكان الواحد منهم إذا أراد أن يرتفع فى عبارته لجأ إلى صفوة القول فى اللغة العامة وإذا رجع إلى قومه عاد إلى لهجته الخاصة .

ولا شك أن بيئتين من بيئات العربية كانت لهما آثارهما فلهجة للبيئات الحضرية فى مكة والمدينة وما حولهما، وهناك لهجة البيئات المنعزلة، وقد ظلت الفروق اللغوية الخاصة ظاهرة، ويمكن معرفة بعض اللهجات الكبرى ذات الطابع البيئى الخاص الذى يختلف فى جوهره عن الطابع البيئى العام عند تميم وهذيل وطيىء مثلا فهذه القبائل لها شعراؤها الذين تبرز فى أشعارهم سمات هذه اللهجات وخصائصها فمن شعراء تميم أوس بن حجر وسلامة بن جندل ، وعلقمة بن عبدة، إلخ ومن شعراء هذيل : أبو ذؤيب الهذلى، وعامر بن حليس، ومن الطائيين : حاتم الطائى، وأبو زيد الطائى، وإياس بن قبيصة وأضرابهم[1] .

---

(١) انظر: دراسات فى فقه اللغة ص٥٨ .

ولابد من ملاحظة دراسة هذه الخصائص التى تبدو فى مناطق عديدة للعربية الباقية وأن يتتبعها الباحث من منابعها وقد يجد بعض الوجوه الخاصة بإحدى اللهجات على جانب كبير من الدقة والقوة تفوق نظائرها فيها، «فلهجة قريش لم تكن فى جميع الحالات أقوى قياسا من لهجة تميم»، وهذا كطريقة بنى تميم فى إهمال (ما) وطريقة الحجازيين فى إعمالها، فقد ذكر ابن جنى أن التميمية أقوى قياسا من الحجازية وهكذا يستطيع الباحث أن يكشف عن ظواهر لهجات العربية الباقية وكيفية الإفادة منها.

وسنتحدث فيما يلى تفصيلا عن «اللغة العربية» فى صورتها المثالية ونبين ملامح تدرجها ومصادرها وتنقيتها وتقنينها بما يحافظ على أدائها المتميز ويوضح حقيقتها وطبيعتها الفائقة.

* * *